أسس الحكم الشوري الموسع في الإسلام

الحلقة الحادية والعشرون

نظام الحكم الأثيني (III)

الملكان المزدوجان لإسبارطة ويد كل منهما ممسكة بخناق الآخر

لما شرع الفرس بقيادة إمبراطورهم: "داريوس الأول" (549 -486 قبل الميلاد) في غزو "أيونيا" التي تمثل الجانب الأسيوي من اليونان {الأناضول في تركيا الحالية، أنظر الخريطة المصاحبة} سنة 499 ق.م، ثارت على حكمه عدة مدن يونانية أسيوية.

وهو ما أخذ من الفرس خمس سنوات لإخماد تلك الثورات {من سنة 499 ق.م. إلى سنة 493 ق.م.}.

وكان أساس ثورة هذه المدن عدم رضا سكانها ب المستبدين الذين يوليهم الفرس على هذه المدن ك "حكام مقاطعات" (ساتراب بالفارسية)، أو "حراس المدن" {شهربان بالفارسية المعاصرة، المركبة من "شهر" وتعني: المدينة، و"بان" وتعني: الحارس}.

كان هؤلاء الحكام يحكمون مقاطعاتهم بصفتهم نواباً للملك ويحكمون باسمه. وكانوا يتمتعون بكل مظاهر الملك، مثل إحاطة أنفسهم ببلاط وبالأبهة التي تتماشى مع ذلك، وجمع الضرائب، وتنفيذ الأحكام، وتأمين التجارة والطرق وغيرها من أمور الملك.

وكان يساعد الساتراب مجلس مكون من فارسيين ومن محليين يتحكم فيهم مبعوث للإمبراطور يعمل كعين له، ويرسل تقريراً سنويا بمجريات الأمور في مقاطعته.

ولضبط الحاكم المحلي، فقائد الجيش لم يكن تابعا له بل للشاه.

هذا المنصب استهوى الكثير من الطامحين الإغريق لشغله لما يدره على صاحبه من أبهة ملك ومنافع.

ولعل خير من نمثل به لنوعيتهم وشاكلتهم: المستبد الإغريقي: **هيستيايوس** (Histiaeus)(ت: 494 ق.م.) حاكم مدينة: **ميليتوس** الذي شارك مع بعض المستبدين الآخرين تحت حكم ملك الفرس: **داريوس** في الحملة التي قادها الأخير ضد مملكة **سكائستان** (Scynthia) (Σκυθία) التي كانت تشمل جنوب روسيا الحالية، وكازاخستان وأوكرانيا.

وقد أناط **داريوس** بهؤلاء المرتزقة مهمة نقل جنوده بسلام فوق نهر الدانوب. وهو ما نجحوا فيه. وكان جند هيستياتوس قد شرعوا في بناء مستوطنة **ميركينوس** (Myricinus) الواقعة على نهر سترومونـاس (Struma (Στρυμόνας.

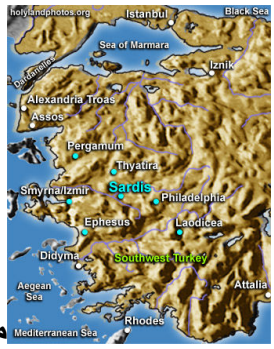

ولما عاد داريوس من حملته إلى مدينة ساردیس مركز عملياته العسكرية مصحوباً بمرتوقته الإغريق سأل **هيستيايوس** ماذا يطلب مقابل الخدمة التي قدمها له؟

فطلب أن يقطعه مستوطنة **ميركينوس** (Myricinus).

وهو ما وافق عليه داريوس، إلا أن القائد الفارسي "ميجابازوس" (Megabazus) انتابته شكوك بخصوص هذا الطلب وارتاب من نوايا المرتزق الإغريقي فنصح **داريوس** بنقله إلى عاصمته سوسة وجعله تحت عينيه.

فاستدعى **داريوس هيستيايوس** للمثول أمامه، وأقنعه بمصاحبته إلى عاصمته **سوسة**، حيث احتجزه في بلاطه.

وقد صدق ظن ميجابازوس في **هيستيايوس**، حيث ما أن استقر بالأخير المقام في منفاه الإجباري ب سوسة وأدرك الورطة التي وقع فيها، حتى كتب رسالة سرية على جمجمة عبد له وجهها إلى زوج ابنته أريستاغوراس، الذي كان خلفه كمستبد على مدينة:

"ميليتوس"، يحرضه فيها على خلق القلاقل وإشعال ثورة المقاومة ضد الفرس، آملاً من وراء ذلك، أن يفرج عنه **داريوس** ويرسله إلى **إيونيا** لتهدئة الأوضاع هناك!

وقد صادف في هذه الأثناء، أن توفي مستبد أثينا المستنير: بيستراتوس سنة 527 ق.م. وخلفه في منصبه ابنه المعتوه: "هيبياس" (Hippias) على ما تقدم لنا في الحلقة السابقة، مما استدعى تدخل الإسبارطيين تحت قيادة ملكهم: "كليومين" (Cleomenes) (520 ق.م. - 490 ق.م.) في الشؤون الداخلية لمدينة **أثينا** سنة 510 ق.م.، وفرار

هيبياس إلى مدينة **ساردِيس**، يناشد واليها العون لاستعادة سلطانه.

ورغم تهديد الوالي الفارسي للأثينيين إلا أنه لم يستطيع إجبارهم على قبول حاكمهم المعتوه.

وسيشارك أريستاغوراس حاكم مدينة **ميليتوس** في سنة 499 ق.م. الذي لم يكن يخفي أطماعه التوسعية في بحر إيجة، في حملة عسكرية مع **الساتراب** الفارسي: "**أرتافيرنيس**" (Artaphernes)، قوامها 200 سفينة، لإعادة مستبد جزيرة ناكسوس إلى منصبه.

وقد ضرب الأسطول حصارا على الجزيرة دام أربعة أشهر من دون طائل، إلى أن اضطر قائد الأسطول لرفع الحصار والعودة من حيث قدم، محطما بذلك أحلام أريستاغوراس.

وأمام هذا الفشل، واستباقاً لقرار عزله من منصبه من طرف الفرس قرر أريستاغوراس لعب كل أوراقه، وذلك بالنزول عند رغبة صهره **هيستيايوس** الأسير في بلاط سوسة، بتنظيم ثورة ضد الوجود الفارسي على الساحل **الايونى**.

حاول أريستاغوراس في البداية إقناع **كليومين** الأول (ت: 489 ق.م.) ملك **إسبرطة** بالمشاركة في الثورة على الفرس، وذهب يزين له في غزوهم في عقر دارهم إلا أن

ابنة الأخير: "غورجو" (Γοργώ) (ت: بين 510 - 506 ق.م.) نصحت والدها بعدم مسايرة أريستاغوراس في أضغاث أحلامه.

ثم جرب حظه مع أثينا التي رحبت به وأرسلت معه عشرين سفينة مجهزة بقوادها وبحارتها.

ولما حل وقت تنفيذ الثورة في سنة 498 ق.م. تحرك الإيونيون والبحارة من مدينتي أثينا وإريتريا (Eretria) (Ερέαιρτ)

وتوجهوا صوب مدينة ساردیس

مركز الاحتلال الفارسي واحتلوها، إلا أنهم وقبل وصولهم إلى قلعة الحامية الفارسية للاستيلاء عليها شب حريق مهول بالمدينة أتى على كل ما فيها.

وهو ما أجبرهم على التقهقر إلى الساحل حيث وجدوا الفرس قابعين لهم بالمرصاد، فانهزموا أمامهم.

وما أن تمكن الفرس من إخماد الثورة سنة 493 ق.م. حتى تهافتت بعض المدن الإغريقية خارج إيونيا على تقديم ولاء الطاعة للفرس خشية فقدان التجارة مع المدن الواقعة تحت سيطرتهم.

من بين تلك المدن كانت جزيرة "إيجينا" (Aegina)

{الخريطة}

أول جزيرة إغريقية قدمت للفرس ولاء الطاعة والاستسلام في سنة 501 قبل الميلاد.

وهو الأمر الذي جعل الملك الإسبرطي: "كليومينيس الأول" (*Cleomenes I*) (*Κλεομένης*) (515 ق.م. - 491 ق.م.) يعبر إلى الجزيرةِ لاعتقال الخونة المسئولين.

ولم يتعاون معه سكان الجزيرة، كما كان يأمل، بل سينشأ خلاف بينه وبين شريكه في

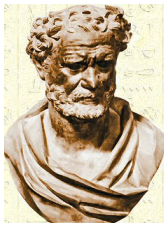

الملك الإسبرطي: "ديماراتوس" (Demaratus) (515 ق.م. - 491 ق.م)

حول السياسة التي يجب إتباعها مع المدن غير المنضوية تحت: "جامعة أراضي بيلوس" (جامعة البيلوبونيسوس) (Πελοποννησος) (Peloponnesian League) التي كانت تضم المدن الواقعة تحت الهيمنة العسكرية لمدينة إسبارطة {البقعة الملونة باللون الأحمر

على الخريطة والمكبرة باللون البنفسجي}.

وعندما حاول "كليومينيس الأول" تنصيب المستبدِّ الأرستقراطي:

"إيزاجوراس" (Isagoras) حاكماً على أثينا، عارضه شريكه في الملك:

"ديماراتوس": وحاول، وإن من دون نجاح، إفشال خطته.

وبمجرد انسحاب القوَّاتِ الإسبارطيةِ من أثينا، احتل الأرستقراطي: إيزاجوراس

الموقع القيادي في البلدة، بينما احتل منافسه: "كليستينيس" (Cleisthenes) المنتمي لعائلة الألكمينيديين، التي استعادت اعتبارها الآن من وصمة اللعنة التي ارتبطت بها قديما {أنظر الحلقة السابقة}، موقع رجل المعارضة الأول الممثل ل حزب الديمقراطيين.

وقد حاول " إيزاجوراس " إعادة نسخة من الحكم الأرستقراطي السابق على

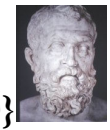

إصلاحات سولون (640 ق.م. - 591 ق.م,) {أنظر الحلقة السابقة} من خلال تَنْقِية قوائم المواطنِين.

و لم ينس الملك: "كليومنيس الأول" لشريكه في الملك: "ديماراتوس"، تشويشه عليه في خطته بتولية: " إيزاجوراس " حاكما مستبدا على أثينا، وظل الحقد على صاحبه يغلي في صدره على نار دافئة، متحيناً لفرصة الانتقام.

وبمجرد أن عاد إلى إسبارطة، أعد خطة للانتقام من شريكه في الملك، وذلك بالإيعاز لأحد أقارب "ديماراتوس"، وأحد ألد أعدائه وهو: "ليوتيكيداس" (ελωτυχιδας) (Leotychides) (545 ق.م, - 469 ق.م.) أن يطالب بالعرش، بحجة أن: "ديماراتوس"، لم يكن ابنا شرعيا ل "اريستون" (Ariston)، بل ل "أجيتوس" (Agetus) زوج أمّه الأول.

ولبلوغ هدفه من أقصر طريق، فقد قام "كليومينيس الأول" بإرشاء الكاهن وسيط

الشيطان في ديلفي من أجل النطق بحكم يكون في صالح " ليوتيكيداس ".

وهو ما تم بالفعل، فتمت الإطاحة ب "ديماراتوس" وتوج "ليوتيكيداس" ملكاً ثانياً مع " كليومينيس الأول" في سنة 491 قبل الميلاد.

و لما تم ل " كليومينيس الأول" ما أراد من الإطاحة بخصمه: "ديماراتوس"، زار جزيرة "إيجينا" ثانية، مصحوباً هذه المرة بشريكه: "ليوتيكيداس" حيث تم إلقاء القبض على عشرة من الزعماء المحليين البارزين في الجزيرة وتم نقلهم إلى أثينا كرهائن.

ولم يجد ديماراتوس، المطاح به والمخلوع عن العرش، بداً من الفرار للنجاة بجلده فذهبَ إلى بلاط مستبد المستبدين بإطلاق في عصره: الإمبراطور الفارسي الإخميني

الصاعد نجمه في الأفق: "داريوس الأول" (549 -486 قبل الميلاد) الذي رحب به ووهبه، لينفس من كربته، ويؤلف في نفس الوقت قلوب المستبدين الآخرين للمدن الإغريقية على حكمه، مدينتي:

أ) "فرغاموس" (Pergamum) (Πέργαμος وكانت تعرف قديما تحت اسم: "توثرانيا" (Teuthrania) الوارد ذكرها في حرب طروادة. {توجد حاليا في محافظة إزمير التركية وتعرف ب: "برغاما" على نهر بكير}،

ب) و"هاليسارنا" (Halisarna) ليحكمهما.

ويذكر المؤرخ الإغريقي: كسينوفون (Xenophon) في كتابه: "هلينيكا" (Hellenica) هذه المدينة مصحوبة بمدينتي فرغاموس وتوثرانيا قرب نهر كايكوس (نهر بكير الحالي بمحافظة إزمير، بتركيا).

قلت:

وما يضير مستبد المستبدين وطاغية وقته بدون منازع، أن ينفل أراضي لا يملكها وبساكنتها إلى الطوَيْغت بالمناصفة: ديماراتوس، ما دام هذا النفل يخدم مصالح إمبراطوريته المترامية الأطراف، التي هي بحاجة ماسة إلى طواغيت محليين يدينون بالولاء إلى من يطلق على نفسه: ملك الملوك ؟

وقد توارثت ذرية ديماراتوس حكم هذه المنطقة حتى بداية القرن الرابع قبل الميلاد.

ولن يسعد كليومينيس الأول بما اقترف في حق شريكه في الملك لمدة طويلة، وسينتهي هو نفسه نهاية مأساوية، حيث سيصاب بنوبة من الجنون ستدفع به إلى الانتحار سنة 488 ق.م. في سجنه. {لوحة للفنان الفرنسي: جورج ديفيرو (George Devereux)

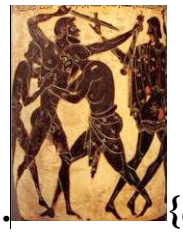

تصور جنون كليومينيس}.

وكاد "ليوتيكيداس" نفسه أن يستسلم لجزيرة "إيجينا" بعد انتحار كليومينيس الأول، لكن سيعلو نجمه بعد ذلك ويبلى البلاء الحسن في مقاومة غزو الفرس، حيث سيقود في ربيع سنة 479 ق.م. أسطولاً مكوناً من 110 سفينة إلى كل من جزيرتي:"إيجينا" و"ديلوس" (Δέλος) (Delos) لنصرة انتفاضة الإغريق على الفرس في كل من مدينتي:

"خيوس" (Χιος) (شيوس على الخريطة الملحقة)

{صورة لها من القمر الصناعي لنازا} و"ساموس" (Σάμος) جنوباً منها (سيامومس على الخريطة السابقة).

وسينتصر بهذا الأسطول على الفرس في "وقعة ماخطيس" (Battle of Mycale)(Μάχηλης) التي وقعت على منحدر جبل ماخطيس المقابل لخليج ماخيطيس الفاصل بين جزيرة ساموس وبين الأناضول، {صورة للجبل من الجهة الداخلية

لجزيرة: ساموس{ في 27 أغسطس من سنة 479 ق,م.، حيث كان الفرس قد أنزلوا قوة هناك، تخندقت لمواجهة الإغريق.

قلت:

وهي إحدى معركتين بين تحالف المدن الإغريقية { إسبارطة، وأثينا، وكورانثيا،...

وبين الفرس بقيادة ملكهم: أرتخشتا الأول }، أوقفتا الهجمة الثانية للفرس على اليونان.

وسيقود حملة أخرى إلى "طيسالياس" (Θεσσαλιας) {البقعة الملونة باللون الأخضر على الخريطة المصاحبة}

ضد عائلة البارونات المترفين: "الليوادائيين" (Αλευάδαι) لتعاونها مع الفرس، إلا أنه سيتراجع بعد أن حصل على رشوة من العائلة.

لكن، ما أن عاد إلى إسبارطة حتى حوكم لارتشائه، ففر إلى أحد معابد أثينا واعتصم فيه.

فصدر الحكم بنفيه، وحرق قصره، وخلفه على العرش حفيده "أركيداموس الثاني" 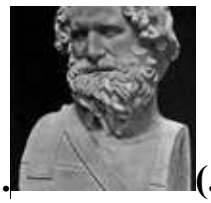 (Archidamus II) (476 ق.م. - 427 ق.م.).

قلت:

وسيتطاول العمر ب ديماراتوس ليرافقَ ابن داريوس: ارتخشتا الأول (Xerxes I) ملك الفرس (522 - 465 قبل الميلاد) أثناء غزو الأخير للجزر اليونانية في سنة 480 قبل الميلاد.

ويقال: بأنه كان قد حذرَه من التقليل من شأن الإسبارطيين قبل معركةِ: "الأبواب الساخنة" "ثيرموفيلا" (πομερΘϋαιλ) (Thermopylae) التي وقعت بين الفرس وبين تحالف من المدن بقيادة إسبارطة. وسوف يلقى ملك الإسبارطيين: "ليونيداس الأول" (Λεωνίδας) (Leonidas I) (540 ق.م. - 480 ق.م.) {تمثال له} زوج غورغوس ابنة كليومين الأول حتفه في هذه المعركة. {صورة للموقع الجغرافي للمعركة ولمسارت الجيوش 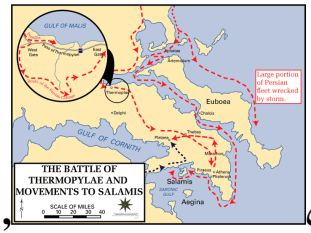

, ولموقع المعركة بالأقمار الصناعية ولموقعها الحالي .

قلت:

لاحظ أولاً:

هذه الوشائج التاريخية التي تلقم حجراً تلك الثلة من المؤرخين الغربيين المغرضين الشوفينيين الذين ظلوا يتجاسرون على القول بانقطاع كُلّ الصلات الثقافية بين اليونان ومحيطها الجغرافي الشرقي!، بينما موقعها الجغرافي الذي لا يتزعزع، وواقعها الجيوسياسي الذي تفرضه هذه الجغرافيا بالذات، يثبتان لمن ألقى السمع وهو شهيد، أن اليونانيين طلوا دوما واسطة بين الشرق والغرب، برجل في آسيا، وأخرى في أوروبا، وأنهم شربوا من حضارة الشرق لقرون حتى الثمالة وأخذوا منها علومهم وهندستهم ومعمارهم وبعض

دياناتهم، بله وحتى بعض آلهتهم، قبل أن يأتي عليهم الدور، مع قدوم الإسكندر

المقدوني، لإرجاع بعض هذا الدين، وليخضعوا بعد ذلك، وبحسب السنن التي لا تتغير، بعد أن أفل نجمهم الحضاري، إلى روما على الجانب الأوروبي، ثم بعد ذلك بدهر إلى الأستانة التي حكم منها العثمانيون المسلمون على الجانب الأسيوي الشرقي.

ولاحظ ثانيا:

أن لا فرق لا في النوع ولا في الدرجة بين "**استبداد**" اليونانيين واستبداد الشرقيين بالرغم من اختلاف حيزيهما الجغرافيين.

فاستبداد أباطرة الشرق فرضته الجغرافيا المفتوحة، حيث لا موانع طبيعية كانت تقف في وجه الأعداء، مما فرض على كل إمبراطور أن يحاول مد حدود بلاده نحو الخارج ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

فعل ذلك فراعنة مصر، وملوك الحثيين، والعلاميين، والبابليين، والآشوريين، والميديين،....وبلغ أوجه مع قورش الكبير الذي تمكن من تجميع كل إمبراطوريات الشرق والغرب تحت حكمه كما توضح الخريطة المصاحبة.

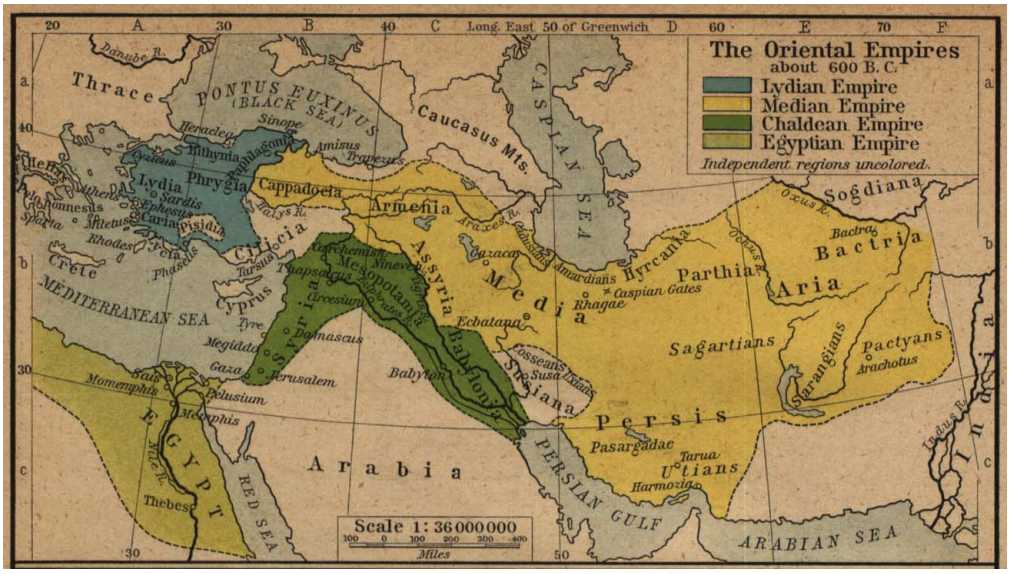

ونعجب أن نجد مستبدين في اليونان يستفردون بحكم بلداتهم، مع أن مجالهم الجغرافي محدود بالبحر من كل جهاته!

ونزداد عجباً، حين نرى بأن بعض الإغريق لم يجدوا غضاضة من الاشتغال كمرتزقة ومستبدين من الدرجة الثانية، تابعين لطواغيت الشرق، متى سنحت لهم الفرصة بذلك، ولا نكاد نعثر في الشرق على مثيل لدولة فاشية من شاكلة دولة إسبارطة في اليونان.

والغريب هو أن نموذجها ظل يستهوي طغاة ومستبدو الغرب حتى عصرنا الحاضر، مع عواقب وخيمة في كل مرة، حال ما فعل أدولف هيتلر بألمانيا وموسوليني في إيطاليا.

انتهى وتليه الحلقة الثانية والعشرون

نظام الحكم الأثيني (IV)

ديمقراطية أثينا في طور النشأة والتكوين